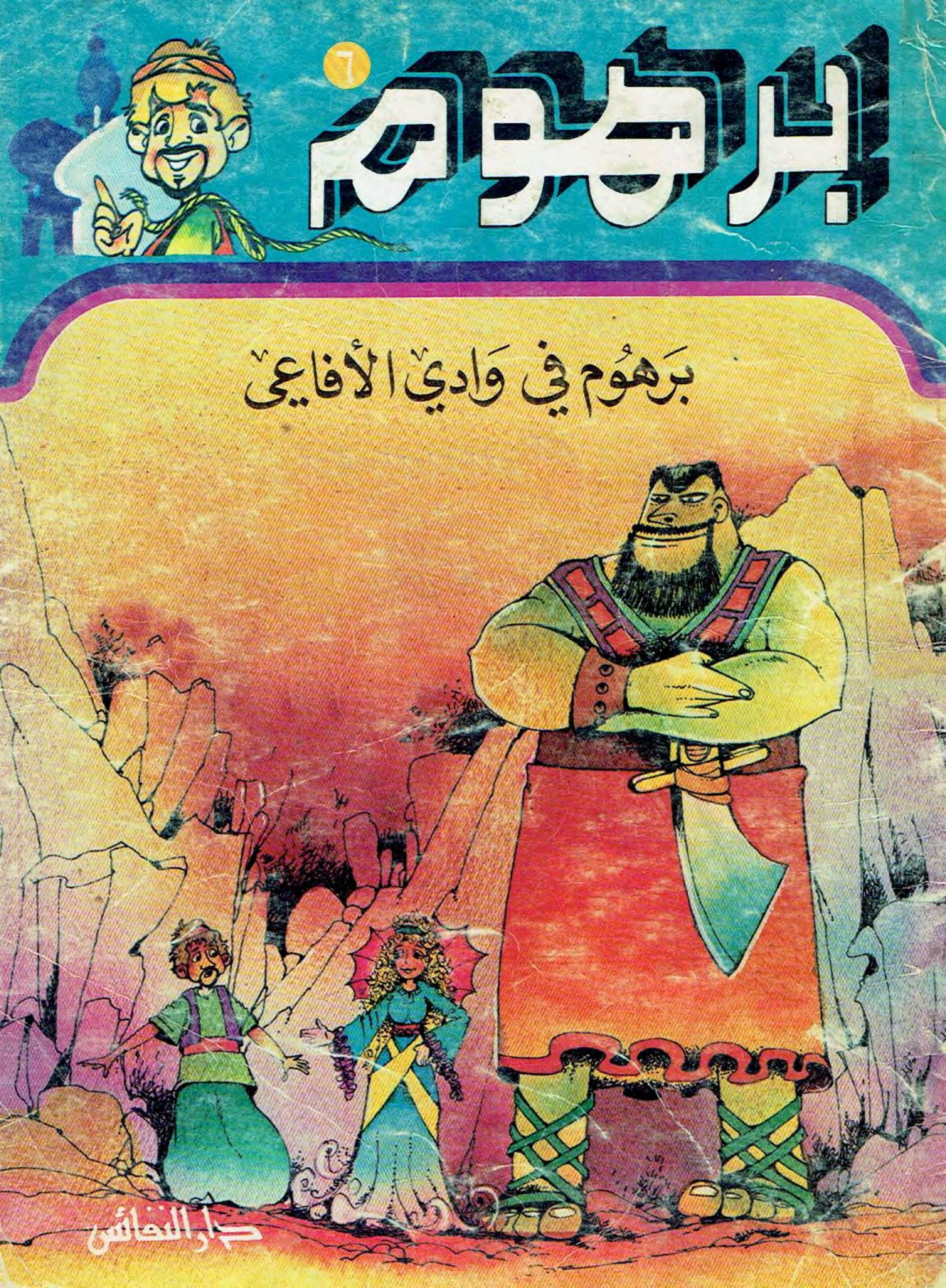

برهوم
٦
برهوم في وادي الأفاعي
دار النفائس



برهوم في وادي الأفاعي

قصة : محمد عبد الحميد الطرزي

رسوم : محمد طارق العسيلي



ملخص ما نُشر في السابق :

برهوم إنسان شديد الذكاء ، كثير المرح ، شديد الوفاء . تسبّب في شجّ رأس جني صغير ، مما أثار والده « قطامش » ، فسجن برهوماً في زجاجة ورماه في قاع بحر الظلمات ، وهناك وجد بجانبه زجاجة سُجن فيها منذ زمن النبي سليمان مارد يدعى « حبظلم» فتصادقا ثم اختلفا ، وبقيا على تلك الحال حتى ابتلع حوت ضخم زجاجة برهوم وتسبب في وصولها إلى قصر ملكة اللؤلؤ ، فعرضت عليه الزواج منها فأبى وفاءً لزوجته ، ولكنها أصرّت وعاقبته بسجنه مع أحدب غريب ، ثم هددته بحبظلم الذي ظهر من جديد في مملكة اللؤلؤ . ولكن الثلاثة تعاهدوا على الوفاء ووضعوا خطة للتخلص من سجن الملكة الظالمة ، فكانت مكيدتها أكبر ، وساعدتها ساحرتها على إعادة زجاجة برهوم الى قاع البحر من جديد . فهرب برهوم والأحدب الذي استعاد صورته الطبيعية بعدما تبين أنه أمير جميل . . . وبعدما وصلا الى مملكة الأمير انطلقا فوراً في رحلة قاسية الى وادي الأفاعي يفتشان عن ساحره عساه يساعدهما في استعادة « حبظلم » وفك أسره وفاء منهما لصديق أسلم على أيديهما .

ومرت الأيام متشابهة . . وذات مساء قال « أبو الهدى » :

ـ في الغد بإذن اللّه تنتهي المرحلة الأولى من مهمتنا ، وعلينا أن نخترق وادي الأفاعي مع مطلع الفجر . . .

وأخذ « أبو الهدى » يشرح لهما ما يمكن أن يـلقوه وصوَّر لهما كل ما يمكن أن يحدث لهم في الطريق . .

كان الأمير يطرح عليه سؤالاً بين الحين والحين وبرهوم صامت يصغي الى الشرح المخيف . . .

قال الأمير :

ـ توكلنا على اللّه . . فلنبكر بالرحيل لنمر عبر الوادي قبل أن تسعى الحيات بحثاً عن طعامها . . .

أجابه « أبو الهدى » :

ـ لن نتمكن من اختراق الوادي دفعة واحدة . . لذلك سنقطع من الوادي المسافة التي نريدها . . ونأوي إلى إحدى المغاور في فترة القيلولة . . . .

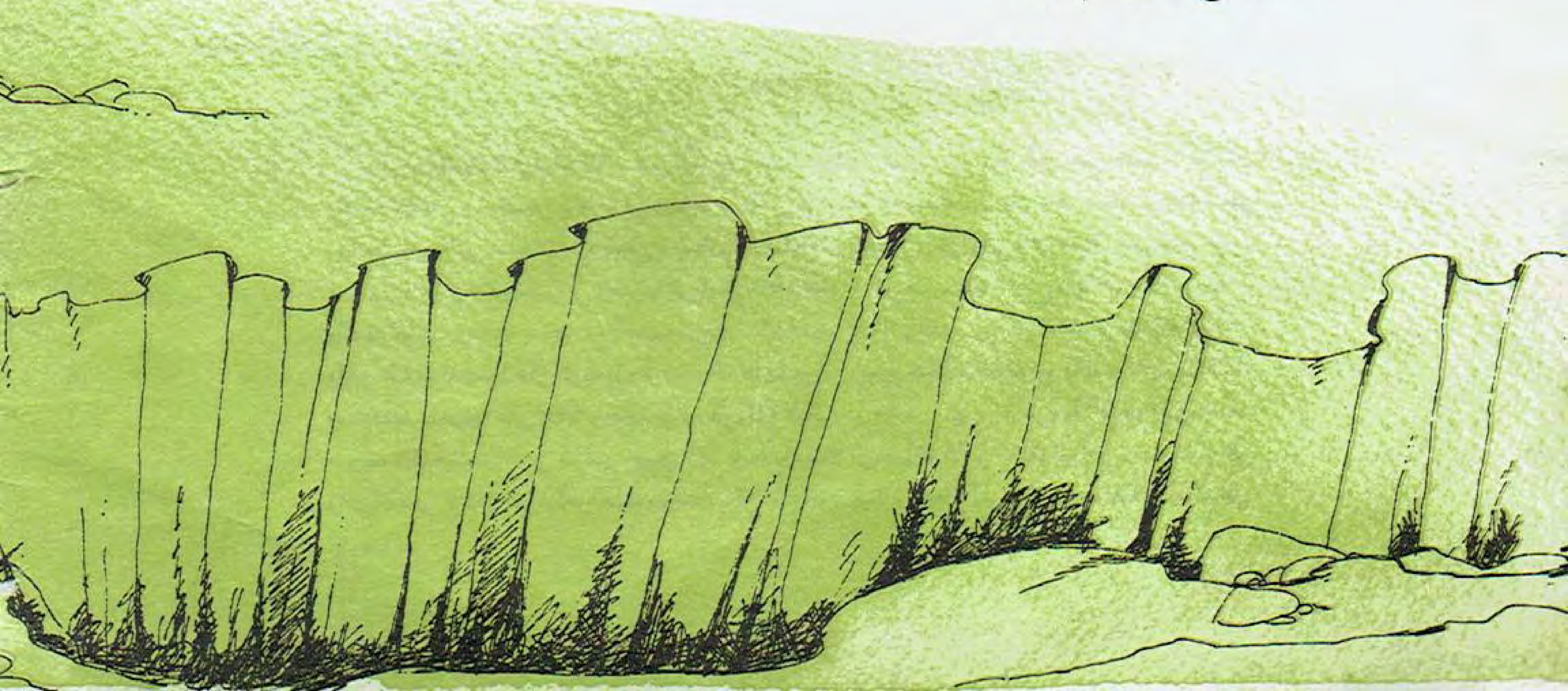
وصلوا مع الفجر إلى بداية وادٍ عميق دفعة واحدة تحيط به الجبال من كل جانب . كان مشهده مع ما ارتسم في خيالهم موحشاً رهيباً . سكون مطلق . وكل ما في الوادي يوحي بالهول المخيف الجاثم في مغاوره وجحوره . .

قال برهوم :

ـ يبدو أن المجال خالٍ من أي خطر . . .

لم يجبه « أبو الهدى » على الفور بل ظل برهة واقفاً ينظر بإمعان داخل الوادي ثم قال :

ـ إسمع يا برهوم . . .



ـ ماذا تريد ؟

ـ أريدك أن تسكت . . .

ثم أردف « أبو الهدى » يقول :

ـ يمكننا التقدم الآن ولكن كونا حذرين تماماً فقد نضطر إلى الاختفاء في أي لحظة نسمع بها أي حركة . . .

وَكَزَ أبو الهدى جواده فتقدم به ببطء وقلق . وتقدم الأمير وبرهوم وراءه . ولكن الجواد



توقف فجأة وثبَّت حوافره في الأرض كالأوتاد ، وكان على حق في ذلك فقد لاح لهم فجأة ماجمَّد الدماءَ في عروقهم . . . التفت إليهم أبو الهدى وقال :

ـ أسرعا الى هذه المغارة . . .

واندفعوا على عجل إلى إحدى المغاور القريبة . . .

وكان اختيارهم موفقاً فدخلوا جميعهم إلى المغارة . وبعد أن دخلوا وأدخلوا خيولهم قال « أبو الهدى » :

ـ أسرعا وعاوناني في سد الباب بالحجارة . . .

وتعاون الثلاثة على سد الباب بالحجارة في الوقت المناسب ، فما كادوا ينتهون حتى لفحت وجوههم ريح ساخنة وكأنها صادرة من الجحيم . . لقد وصلت إلى مكانهم إحدى الحيات الضخمة المخيفة . . وأخذت تحاول إزاحة الأحجار من مكانها ولو أن الأحجار وضعت من الخارج لنجحت الحية في إزاحتها ولكن « ابو الهدى » كان يقظاً عندما جعل الأحجار من الداخل وكدس كل ما وجده في المغارة من صخور وجذوع وأغصان خلف الأحجار داخل المغارة .

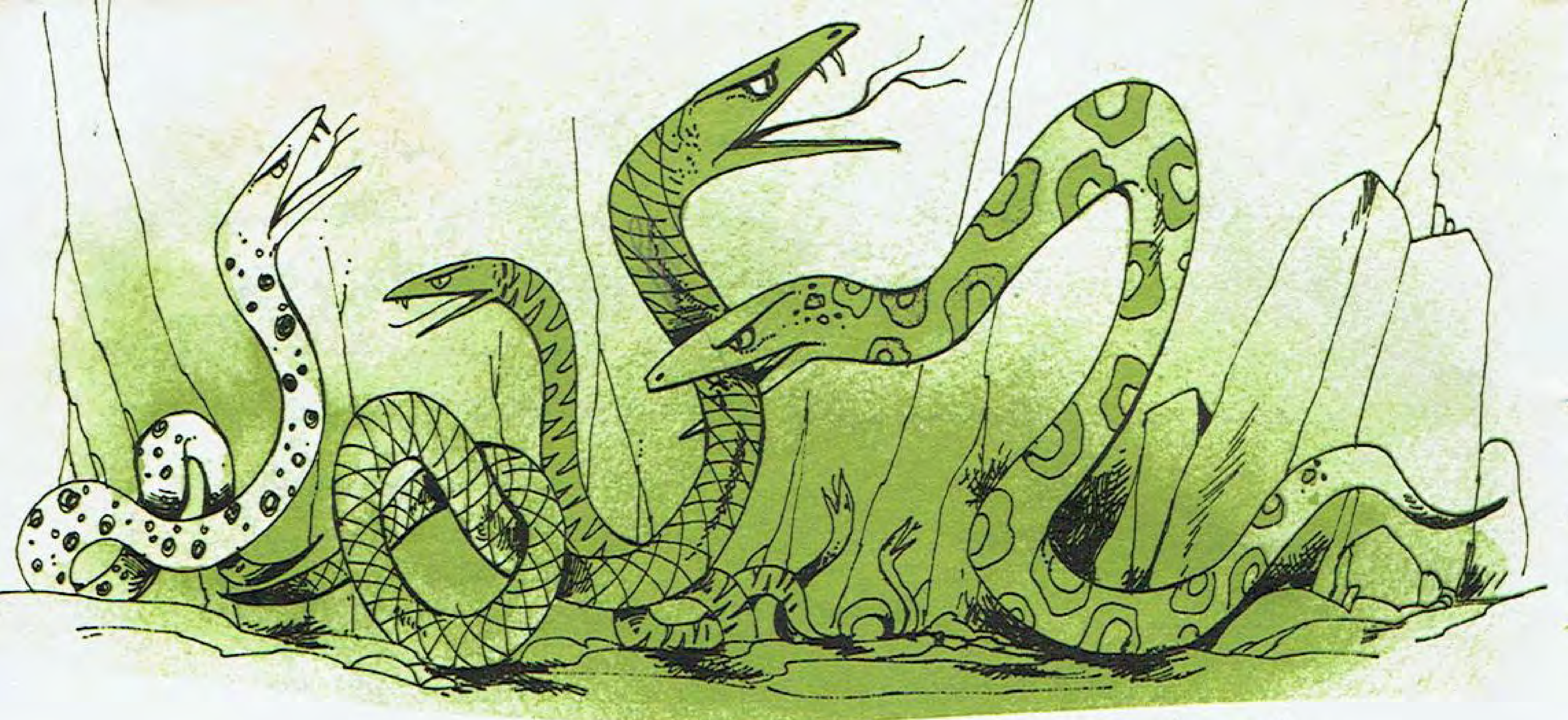
كانت الأفعى تطلق صفيراً مرعباً يلفح هواؤه الساخن وجوههم فيزيد من رعبهم رعباً . . .

همس « أبو الهدى » قائلاً :

ـ علينا جمع المزيد من الأحجار فإن صفيرها الرهيب هذا يجلب الكثير من الحيات . ولم يتردّدوا لحظة في جمع الأحجار صغيرها وكبيرها وكدسوها بعضها فوق بعض ليجعلوا منها جداراً سميكا قوياً . . قال الأمير :

ـ أتعتقد أن في هذا الكفاية . . ؟





أجابه « أبو الهدى » :

ـ لن تستطيع الحيات زحزحة الأحجار من مكانها . . . وحدث ما توقعه « أبو الهدى » . . . فعاد يقول :

ـ إطمئن لا يمكنها تنفيذ ما تريد نظراً لضيق الفوهة .

وسمعوا أصواتاً متباينة منكرة عند باب المغارة وكذلك شاهدوا من الشقوق الضيقة محاولات الإطاحة بالأحجار من مكانها ، وكانوا يعيدون بسرعة كل ما يسقط من الأحجار إلى مكانها من جديد . وفجأة تعالت في الخارج أصوات صدام رهيب . . .

فقال « أبو الهدى » :

ـ لقد بدأت الأفاعي معركةً فيما بينها وفي ذلك نجاة لنا بإذن الله . . .

واستمر العراك وقتاً طويلاً وشاهدوا من خلال الشقوق بين الأحجار ما لم يخطر لهم على بال أو يمر حتى في الخيال . .

قال الأمير وهو يتصبب عرقاً :

ـ ياله من مشهدٍ مخيفٍ رهيبٍ . . .

كان برهوم الذي ألجمه الخوف ينظر إلى ما يدور أمامه مذعوراً ذاهلاً . شاهد ما شاهد الأمير وهو يرتعد ولا يحيد بصره عن المشهد المخيف الذي يدور في الخارج . . .

لقد التحمت حيّتان في صراع رهيب . كتب الفوز فيه لواحدة منهما . . .

وبعد أن تمكنت من عنق الحية الأخرى غرزت أنيابها فيها بكل قوتها . . .

وهدأت حركة الحية المهزومة تماماً . . ولكن أمراً غريباً حدث فجأة فقد خمدت أنفاس الحية المنتصرة أيضاً وهدأت فوق الأرض بلا حراك . . .

قال « أبو الهدى » :

ـ لقد نجحت الحية المهزومة قبل أن تنتهي وتموت بدفع سمها القاتل إلى قاتلتها فقتلتا معاً .

كان ما تلا ذلك أشد هولاً فقد تكالبت الحيات الرهيبة على الحيتين ونشب بينها قتال جديد من أجل الاستئثار بالغنيمة . . .

واستمر العراك طويلاً والثلاثة يقفون في أماكنهم ويحملقون في المشهد المخيف حتى هدأت الضوضاء وساد الصمت المريب . . .

قال الأمير :

ـ يبدو أنها اكتفت بهذا القدر من القتال . .

أجابه « أبو الهدى » :

ـ هذا صحيح . . .

قال الأمير :

ـ وما العمل ؟

وقبل أن يجيبه « أبو الهدى » . . . قال برهوم :

ـ فعلا وما هو عملنا الآن ؟

قال « أبو الهدى » :

ـ هذا صحيح . . . أمامنا الآن وقتٌ مناسبٌ لنتوغل قليلاً في الوادي على أن نستعد لمثل ما حدث في أية لحظةٍ . . .

وشرعوا يزيلون الأحجار من مكانها بهمة حتى تبينوا خارج المغارة ولاح لهم الوادي مرة أخرى فامتطوا جيادهم . وسار « أبو الهدى » في المقدمة ليرشدهم إلى الطريق . ولكن ما تصوره « أبو الهدى » كان خاطئاً فما أن انطلقوا في شعاب الوادي حتى فاجأهم حيوان لا هو بحية ولا هو بوحش . . .

كان يدب على أربعة قوائم وحجمه يزيد عن الفيل الكبير ، وقوائمه تنتهي بحوافر مدببة مخيفة الشكل . . .

قال الأمير :

ـ ما هذا يا « أبا الهدى » ؟

قال أبو الهدى بخوف :

ـ انتبها احترسا . . .

جاء تحذيره متأخراً إذ هاجمهم الوحش لكن الأمير الشجاع تقدم مشرعاً رمحه وانطلق



بجواده كالزوبعة نحو الوحش وسدّد الحربة ما بين عينيه وأغمدها في رأسه وتركها ليبتعد مسرعاً عن الوحش الذي أطلق صرخة مدوية اهتزت لها أرجاء الوادي . . . ثم استسلم بعدها لحشرجة الموت . قال الأمير :

ـ آه كم هو غليظ . . .

قال برهوم بحماس :

ـ سلمت يداك يا أخي الأمير . . .

كان الأمير قد أمسك بالسيف مرة ثانية تأهبا ولكن الوحش استلقى على الأرض يلفظ آخر أنفاسه . تقدم الأمير من جثة الوحش وسحب الحربة بعنف وهو يقول :

ـ ياله من حيوان غريب . . . أنظر إلى عضلاته لو أنه ضرب أي حيوان ضربةً واحدة لقضى عليه في الحال . . .

قال « أبو الهدى » :

ـ إنه يسمى « عدو الأفعى » . . . .

قال برهوم :

ـ ماذا يعني عدو الأفعى . . .

قال « أبو الهدى » :

ـ إنه يبطش بها ويجعلها أشهى وجباته . . .

قال الأمير :

ـ معنى هذا أنه يقضي عليها . . .

قال « أبو الهدى » :

ـ نعم . . . لولاه لتكاثرت الحيات في الوادي بصورة رهيبة يتعذر معها الاقتراب من

الوادي كله، قال برهوم :

ـ إنني أرتعد من هول ما شاهدته . . .

ضحك الأمير و « أبو الهدى » . . .

ثم أردف برهوم يقول :

ـ إن كانت هذه البداية فماذا ستكون عليه النهاية ؟ . . . أجابه « أبو الهدى » :

ـ علم ذلك عند الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد . .

وساد الوادي هدوءٌ مريب عقب مقتل الوحش. نظر « أبو الهدى » إلى ما حوله . وقال الأمير :

ـ وماذا هناك ثانية :؟

لم يجبه « أبو الهدى » . . .

بقي ينظر هنا وهناك بعين متفحصة خبيرة وأخذ يتابع آثار الرمال في الوادي . . ثم قطب حاجبيه وظهر عليه القلق بوضوح . . .

كان الأمير وبرهوم يراقبان القلق والانفعالات البادية على وجـهه بوضوح . ثم اشتد تجهمه وازداد وجهه عبوساً، فقد أدرك « أبو الهدى » أن هناك شيئاً ما ، واستنتج الأمير وبرهوم أنه اكتشف أمراً من أمور الحيات وهذا ماكدّره . . .

سأله الأمير جوهر :

ـ ماذا بك أيها الشيخ الجليل . . ؟

تطلع إليهما من تحت حاجبيه الكثفين وقال :

ـ أريد منكما الإسراع بالالتجاء إلى مكان أمين . . . إن ما أراه من أثر يدل على أن عدد الحيات قد تضاعف مرات عن ذي قبل وهذا معناه أنها ستسعى ليل نهار بحثاً عن الطعام وفي ذلك خطر كبير علينا . . .

تهيأ الأمير جوهر للأمر . .وأمسك بقبضة حسامه وقال :

ـ خير البِرِّ عاجله . . . هيا . . . هيا . . . لعلنا نوفق إلى مغارة ضيقة المدخل فنأوي إليها على الفور . . .

ولكن الأحداث كانت أسرع من عزمهم ، إذ فوجئوا بعددٍ كبيرٍ من الحيات تتسابق في سعيها إليهم . . . وبحركة عفوية ، استجابت الخيل لطلبهم وأسرعوا بها باتجاه معاكس حتى ابتعدوا نهائيا عن الحيات الزاحفة مسافة تتيح لهم فرصة البحث عن المغارة الملائمة لهم . . .

ومرة أخرى أرهبهم ما وقع عليه بصرهم . . . إن جموعاً جديدة من الحيات تزحف باتجاههم ، من الطريق المعاكس . . . . بهتوا وتسمّرت أقدامهم وأقدام الجياد في الأرض ، وأخذت الجياد تصهل بخوف وقلق . . .

قال الشيخ « أبو الهدى » وهو يدور بعينيه دورة سريعة بين مداخل المغارات الكثيرة حولهم وهز رأسه بأسف وقال :

ـ لا حول ولا قوة إلّا بالله العليِّ العظيم . . . .

قال برهوم :

ـ وماذا هناك ثانية ؟

قال « أبو الهدى » :

ـ ليس بينها ما يتسع لنا جميعا . . .

سأله برهوم الذي ارتعدت فرائصه :

ـ ما العمل إذن . . ؟

قال الأمير :

ـ هل سنبقى في مكاننا حتى تصل إلينا الأفاعي وتبتلعنا . . .

أجابه « أبو الهدى » :

ـ لا . . . إنني فكرت بالأمر . .

صرخ برهوم قائلاً :

ـ ما العمل ؟ هيا . . . تكلم بسرعة . . . أرجوك . .

أجابه الشيخ « أبو الهدى » بما يشبه الأمر :

ـ يجب أن نفترق . . . فليدخل كل منا واحدة من المغارات الصغيرة هذه ، فإن داخلها آمن لأنه يصعب على الحيات الدخول إليها ، بهياكلها الضخمة . . ودون تردد ، اندفع كلُّ واحدٍ منهم إلى مغارة في اللحظة التي التقت فيها جموع الحيات . ودارت من جديد بين الحيات معركة رهيبة اصطكت لها أسنان برهوم فتراجع بعيداً عن فوهة المغارة التي أحكم إقفالها ، فأصبحت شديدة الظلام لا يستطيع من خلالها أن يرى ، أو يميز . . . ولا أن يتعرف على حقيقة المكان . . .

وفجأة لفح وجهه هواء ساخن فتراجع بسببه إلى الخلف مذعوراً وهو ينظر برعب إلى ذلك الوجه البشع لحيَّة رقطاء تتطلع إليه من مدخل المغارة وتلفحه أنفاسها . . .

هتف برعب :

ـ يا ساتر يارب . . .

أللّهم آدفع عني هذا البلاء . . . .

أللهم الطف بنا يا رب . . . .

وحملق في وجه الأفعى وأدرك أنها عاجزة عن الوصول إليه فطابت نفسه وزال خوفه فهتف يقول :

ـ أللهم لك الحمد والشكر . . .

وسكت لحظة وهو يراقب محاولات الحية ووجد نفسه يبتسم ساخراً . . .

ثم قال :

ـ إنطحي الصخر حتى تهشمي رأسك . . . .



سكت برهة ثم قال ساخراً :

ـ أيتها المجنونة لا سبيل للوصول إليَّ . . .

وتابع النظر إليها ، بينما شرد ذهنه وغرق في بحر من التفكير . . . وساءل نفسه :

ـ ترى ما مصير الأمير جوهر ؟ والشيخ « أبو الهدى » ؟وركع على ركبتيه ، ورفع كفيه الى السماء يتضرع ، وقال بخشوع :

ـ يا قادر يا قوي . . . يالطيف يا رؤوف . . . يا رحيم . . . يا أرحم الراحمين . . . أللهم أنقذهما بحق عزتك وجلالك واكتب لهما السلامة . . . .

* * * * * * * * * * *

جلس برهوم مرتعداً ينظر إلى خارج المغارة التي لاذ بها إلى ذلك العدد الهائل من الحيات الضخمة التي تضاهي أضخم الأفيال في حجمها . . . كان ينقل بصره بينها وبين السماء ويبتهل إلى الله أن يعمي أبصارها عن مكانه الظاهر . . . ولكن لشد ما تولاه الذعر عندما شاهد حية ضخمة تتجه ، ناحيته مباشرة ، وهي تطلق صفيراً لاهباً . . .

كانت فتحة المغارة ، لحسن حظه ، ضيقة ، فلم تتمكن من دخولها وابتلاع برهوم الذي لفحته أنفاسها عن قرب حتى أيقن أنها النهاية ، فأغمض عينيه وهو يتلو الشهادتين في انتظار الموت . . . واستمر مغمضاً عينيه حتى لا يرى نهايته البشعة أثناء ابتلاع الحية لجسده المرتعد . . . ولما طال به الأمر فتح إحدى عينيه ونظر إلى فوهة المغارة وأدرك السر في تأخر الحية عن ابتلاعه . . . .

فتح عينه الثانية وهب من مكانه وفي زاوية منها شعر بشجاعته من جديد ،وعاوده مرحه الساخر . . . فوقف على بعد خطوات من فم الأفعى وقال ساخراً . . .



ـ لعنة الله على وجهك البشع . . هيا . . تقدمي وابتلعيني . . هيا . . لعنة الله عليك وعلى « حبظلم » . . .

واستمر في سبابه للأفعى التي ازدادت ثورتها لعجزها عن الوصول إليه حتى كادت تهشم رأسها وهي تحاول الزج به في فوهة المغارة الضيقة .

ابتسم برهوم ساخراً وجلس القرفصاء أمامها وهو يحاول إثارتها حتى تُقْدِمَ على مهاجمته لعلَّه بذلك ، يقضي عليها عندما يتحطم رأسها على نثور الصخر القاسي المسن . . .

وفجأة آهتز المكان بعنف شديد وسمع برهوم ، والدماء تكاد تتجمد في عروقه لهول ما سمع ، فقد كانت الأحجار الضخمة تحدث هديراً منكراً ، وهي تتهاوى من قمة الجبل . . .

هتف برهوم برعب ، وهو يكاد يرتطم بجوانب المغارة ـ يالطيف . . ألطف . . يا لطيف . . .

وكاد يسقط خائر القوى ، من شدة الرعب عندما شاهد باب المغارة الضيق وقد تساقط أحد جانبيه ، وأصبح من الاتساع بحيث يسمح بمرور عدة أفاعٍ لا أفعى واحدة . . . قال برهوم :

ـ الآن . . . آقتربت النهاية . . . إنَّه الموت الزؤام المحتم . . .

كانت الحية بدافع من حب البقاء قد لاذت بالفرار واقتربت من باب المغارة لتحمي نفسها من الأحجار التي أسقطها الزلزال القوي . . .

تلفت برهوم حوله بذعر وهلع ووجد أن عدة حيات قد تجمعت عند الباب وبدأ بينها صراع مخيف . . . ولم يكن في حالة تسمح له بالتفكير في سبب عراكها ، وإلا لأدرك أن القتال الدائر أمامه سيكون هو جائزة الفائز فيه . . .



اشتد خوف برهوم مما هو فيه ومع ذلك أسرع يعدو باتجاه الجانب المظلم من المغارة التي ظنها منذ البداية مغلقة ، ولكن حدث ما جدد الأمل في نفسه ، وأكسبه قوة خارقة ساعدته ليطلق ساقيه للريح ويعدو بكل قوته مجتازاً الطريق الذي وجده يبدأ من طرف المغارة الآخر . . .

ظل يعدو سريعاً لا يلوي على شيء ، يتوقف بين لحظة وأخرى ليلتقط أنفاسه ويرهف السمع خشية أن تكون الحيات لا زالت تطارده . . . . وزال خوفه قليلاً واطمأن عندما زاد توغله في ذلك الطريق الطويل الذي يتخلل الصخر الأملس من حوله . . .

أنهكه التعب وقرر أن يجلس لبعض الوقت ريثما يستريح ، وليفكر في الخطوة التالية . . . . نظر حوله ثم اختار مكاناً ملائماً جلس فيه لاهثاً وهو يردد بإيمان . . .

ـ اللّهم لك الحمد والشكر . . .

وما أن انتهى من كلامه حتى سمع صوتاً قرب أذنه يقول له :

ـ من هذا الذي يزعجني في نومي . . ؟

وقفز برهوم من مكانه وأسنانه تصطك بصوت مسموع .

عاد الصوت يتساءل من جديد . . .

ـ تقدم أيها الغريب ودعني أسمع صوتك . . .

خاف برهوم ولم يقترب . . .

قال الصوت :

ـ تقدم ودعني أرى وجهك . . .

كان برهوم يرتعد بقوة ثم قال بخوف :

ـ بسم اللّه الرحمن الرحيم . . . أخبرني أولاً . . . أإنسيٌّ أنت أم من الجان ؟ . . .

أجابه بصوت ساخر :

ـ يبدو أنك إنسي غبيّ . . . يا له من سؤال . . .

ورددت جنبات المغارة صوت ضحكاته المجلجلة فازداد رعب برهوم وأيقن بالهلاك

ثم قال نادباً حظه التعس :

ـ لا حول ولا قوة إلا باللّه العليّ العظيم . . في كل مرة أتخلص من مصيبة أقع في مصيبة أكبر منها وأدهى . . .

قال الصوت بصوت آمر :

ـ تقدم أيها الإنسي . . تقدم . . هيا تقدم ودعني أرى وجهك . . .

تراجع برهوم خطوات إلى الخلف . . . وقال بصوت مرتعد :

ـ لا . . لن أتقدم ؛ لماذا لا تظهر أنت أولاً ؟ . . دعني أرى من أنت . . .

أجابه صاحب الصوت ساخراً :

ـ غبي . . غبي . . إنك أغبى غبيّ صادفني منذ خمسة آلاف سنة . .

ودون شعور أجابه برهوم :

ـ أنصت إلي أيها العفريت أياً كنت . . . كفّ عن شتمي ونعتي بالغبي وإلاَّ . . . . .

وسكت برهوم وعاد الصوت يضحك عالياً . . . إلى أن قال متسائلاً :

ـ وإلاَّ ماذا أيها الغبي . . ؟ أتهددني أيها الحشرة . . !

اندفع برهوم يقول :

ـ أنا حشرة يا أحقر العفاريت . . . ؟ لماذا لا تواجهني إن كنت أنا حشرة وإن كنت أنت شجاعاً بقدر ما أنت وقح . . .



قالها برهوم وندم ، وفاتت ساعة الندم ، فقد انشق الصخر ومن ورائه سطع الضوء الباهر حتى غشّى عينيه فهتف برعب ووجل :

ـ ما هذا يا إلّهي . . . أنقذني من هذا البلاء الجديد الذي أراه أمامي . . .

وظهر خلال الضوء ومن فجوة عظيمة بالحائط هيكل لمارد ، ضخم الجثة ، مخيف الصورة ، وهتف بصوت كالرعد ، اهتزت له جنبات المكان ، وقال :

ـ ها أنا ذا أيها الإنسي . . . تُرى ماذا أنت فاعل بي . . ؟ هيا فقد أثبتُّ لك أنني شجاع ولا أخافك . . أثبت لي أنك شجاع بعد أن هددتني بوقاحة . . . . .

ارتعدت فرائص برهوم ولطم فمه بيده وقال وهو يحدث نفسه :

ـ ألم أصفعك ألف مرة على أن لا تسبّ وتلعن قبل أن تتأكد من هو الشخص الذي تكلمه . . . قل . . قل لي ألم أصفعك ألف مرة . . ؟!

أجابه المارد بغضب :

ـ ومن صفعت أيها الإنسي . . ؟

قال برهوم بصوت مرتعد :

ـ صفعت فمي وهذا اللسان السفيه يا سيد العفاريت وأكرمهم . . .

أجابه بصوت مدوٍّ :

ـ لست سيداً ولست كريماً ومن قال لك أنني سيد وكريم . . ؟ الويل لك إن كنت أنت من قال ذلك . . .

حاول برهوم أن يبتسم لعله يخفف من الغضب الذي استبد بالمارد فجأة ، عند سماعه عبارة برهوم حتى خُيّل لبرهوم المسكين أن المارد لم يفهم قصده بل فهم كلماته بمعنى آخر . . وتساءل :





ـ ولكن كيف . . ؟ إنه يمتدحه ويثني عليه فلماذا . . ؟ لماذا كل هذا الغضب . . . ؟

ابتلع لعابه بصوت مسموع وقال :

ـ العفو والمغفرة يا ملك الملوك . . .

صرخ المارد بجنون هذه المرة وقال :

ـ لست ملكاً أيها المغفل . . .

ومرة أخرى كاد أن يفلت لسانه ويرد له الكيل بسلسلة من السباب، ولكن ظهور فتاة جميلة الى جانب المارد جعله يتريث في الكلام ، وأخذ يتأملها بدهشة وهي تتقدم نحو المارد بهدوء . . استبشر برهوم بحضورها خيراً . . . سيستنجد بها . . فقد لاحظ أنها رغم حداثة سنها تسير بعظمة الملوك . . . . وهتف برهوم بنفسه قائلاً :

ـ آه . . . الآن فقط أدركت لماذا كان يغضب عندما أصفه بالسيد الكريم والملك الجليل . . لا شك أنه خادم عند ذوي هذه الفتاة . . .

توقفت الفتاة على مقربة من برهوم المشدوه ، وأخذت تتطلع إليه بدهشة وذهول . . . فقال محتجاً :

ـ ما هذه النظرة المريبة . . ؟ لماذا تحملقين بي هكذا أيتها الفتاة . . ؟

ضحكت ضحكة رقيقة كرنين الفضة وقالت :

ـ لأنني لم أرَ من قبل إنسيّاً على مثل صورتك المضحكة . . . أليس كذلك يا صفصان . . ؟ انحنى المارد بكل احترام حتى كاد رأسه أن يلمس الأرض . . . وقال وهو مطرق

الرأس ، ينظر في موضع قدميه :

ـ إنه قبيح الصورة وبذيء اللسان وكنت على وشك تأديبه . .

كاد قلب برهوم أن ينخلع من مكانه . . .

وقال بصوتٍ باكٍ متضرع :

ـ يا مولاتي العظيمة . . إفعلي بي ما تشائين ولكن لا تدعيه يؤدبني هو كما يدَّعي . . . . أنظري يا مولاتي إلى قبضة يده . . . لو أنه وضعها برفق على كتفي لقلقل عظامي من مكانها . . .

ضحكت الأميرة الصغيرة وقالت للمارد :

ـ أتركه لي يا صفصان . . سأتولى أنا استجوابه ومعرفة قصته . .

نظر إليه صفصان نظرة نارية . . . استقبلها برهوم بابتسامة فوز واسعة . . وقد انتبه الى الأميرة التي سألته :

ـ كيف جئت إلى هنا أيها الإنسيّ . . ؟

أجابها متذللاً :

ـ إنها قصة طويلة أيتها الأميرة . .

قالت ببساطة :

ـ إذن . . . قصَّها علي . .

نظر إليها برهوم وهو يفكر . . . إن في قصته الخلاص له ومن طلبها فتح الباب إلى شاطىء الأمان . . . اختلس نظرة إلى المارد وقال :

ـ سأقصها على مولاتي ولكن بشرط . . . . .

زمجر المارد غضباً وقال يقاطع برهوماً :

ـ أتشترط أيضاً أيها الصعلوك اللعين . . ؟

وانحنى نحو الأميرة وقال :

ـ هل تسمح لي مولاتي بتأديبه . . ؟

أجابته بعنف أدهش برهوماً وزاده أمناً واطمئناناً إذ قالت :

ـ صفصان . . قلت لك دعه لي . . إنه في حمايتي وحذار أن تمسه أنت أو سواك بسوء . . .

نظر برهوم إلى صفصان الغاضب وقال :

ـ حقاً ما أغرب طبعك يا سيد صفصان . . . من قال لك إنني أحتاج لمؤدب . . ؟ فقد

كررت عدة مرات هذا المطلب رغم أن سموّها ، ومنذ البداية ، رفضت أن تكون سيادتك مؤدبي . . . شيء عجيب حقاً . . . ليتك تغرب عن وجهي ريثما أنتهي من سرد قصتي على مسامع الأميرة الجميلة . . . .

تململ صفصان في مكانه بغيظ بينما تابع برهوم محدثاً الأميرة . . .

ـ أراه لا يسمع يا مولاتي . . . هل تسمح لي مولاتي أن أقوم أنا بتأديبه . . . سألقنه درساً يكف بعده عن وقاحته ويجعله يسرع بتنفيذ ما يؤمر به . . . .

ابتسمت الأميرة الصغيرة وقالت :

ـ صفصان إذهب وأبلغ الأمير مشارق بوجود ضيف عندنا.

أجابها المارد وهو يقول بقلق :

ـ مولاتي هل تبقين وحدك مع هذا المتشرد . . ؟

انبرى له برهوم بعد أن وقف خلف الأميرة . . . وهو يقول له بعظمة مفتعلة :

ـ ما أوقحك يا صفصان . . تأكد أنني قادر على تأديبك لتعرف مدى قوتي فتتعلم بعدها أن تتحدث إليَّ باحترام . . . ولكن احتراماً لوجود مولاتي سأغفر لك هذه المرة . . . .

ضحكت الأميرة لكلام برهوم ومدى غروره وقالت :

ـ ما اسمك أيها الصبي . . ؟

أجابها ببساطة قائلاً :

ـ اسمي الأمير برهوم بن الملك مرجان والملكة ست الزمان . . .

بدت الدهشة على وجه الأميرة وعادت تتأمله من جديد ثم قالت متعجبة :

ـ إبن ملك ؟ ولماذا أنت قذر هكذا . . . ؟ ألا تستحمون في بلادكم . . ؟

تحسس برهوم لحيته النابتة وثيابه الثمينة التي علتها الأقذار وتمزقت في أكثر من مكان . . . وعادت إليه شجاعته ووقاره . . . ثم أردف قائلاً :



ـ ستعرفين الإجابة على سؤالك هذا متى سمعت قصتي منذ البداية . . . .

ثم توقف عن حديثه ليقول مداعباً :

ـ ولكن الأميرة الجميلة لم تخبرني بعد . . . ما اسمك أيتها الأميرة الصغيرة . . ؟

ضحكت الأميرة طويلاً وقالت :

ـ رائع يا برهوم رائع . . أنت لا شك أشجع رجل على وجه الأرض ولست كهؤلاء الجبناء الذين ينحنون لي ولا يعصون لي أمراً . . . إسمي الأميرة « سنا » وأبي ملك ملوك الجان . . تقدم يا برهوم . . . تقدم فأنت، حتى تنتهي من سرد قصتك، في حمايتي ، ولكن بشرط . . .

وسكتت برهة فسألها برهوم بقلق :

ـ شرط ؟ أي شرط هذا يا أميرتي . . ؟

أجابته بهدوء ووقار الملوك :





ـ أرسلت باستدعاء خطيبي الأمير مشارق ليسمع قصتك بدوره فإن أعجبته وأعجبتني صرت لنا صديقاً وعشت بيننا معززاً مكرماً ما شاء اللّه لك البقاء ، أما إن كانت قصة سخيفة . . .

ومرة أخرى كفت عن الحديث . . . فعاد يسألها بقلق أعظم من ذي قبل :

ـ سخيفة جائز جداً أن تكون سخيفة في نظرك ونظر خطيبك فما ذنبي أنا إن رويت لكما ما وقع لي وصادفني حتى الآن ، إلى أن ألقت بي المقادير في هذه الورطة . . ؟

هزت الأميرة كتفيها باستخفاف . . . ثم قالت :

ـ لا حيلة لي في الأمر حاول أن تجعلها قصة جميلةً ومسليةً . . .

فكر برهوم لحظةً وتمتم محدثاً نفسه :

ـ يا لي من غبي . . . سأقص عليها كل ما أعرف من قصص ، وأنسبها إلى نفسي . . .

ابتسم وقال :

ـ قبلت يا أميرتي . . افعـلا بي ما يحلو لكما إن سببت لكما قصتي مللاً او لمستما فيها سخفاً . . . ولكنك . . . لن تتركيني هكذا قذراً وجائعاً ثم تطالبينني بتسليتك أنت وخطيبك ؟ . . . أليس كذلك ؟ . . . .

ضحكت الأميرة بإعجاب ثم قالت :

ـ قلت إنك جريء . . لا بأس . . .

وصفقت . . . فظهرت على الفور مجموعة من الخدم يرتدون الملابس الزاهية الجميلة ووقفوا باحترام وخشوع ليسمعوا أوامراها حيث قالت :

ـ خذوا ضيفنا هذا إلى الحمام وبعد أن تنتهوا من إزالة أقذاره المتكدسة عليه . . . أحضروه إلى مجلسي الخاص . . . .



الحلقة القادمة

برهوم والأميرة سنا

حمل خدم الأميرة « سنا » برهوماً إلى قصرها ، وأرسلت في طلب خطيبها كي يحضر لسماع قصص برهوم الطريفة . فاغتنم برهوم الفرصة وطلب الاستحمام وملابس جديدة ، فحمله الخدم من الجان إلى حمام لا مثيل له في عالم الإنسان . وبعد الحمام نقلوه إلى مجلس الأميرة ، فطلب الطعام قبل الكلام ، فكان له ما أراد أيضاً .

ماذا واجه برهوماً في الطريق ، وفي الحمام ، وفي المجلس من مواقف وصعوبات . ماذا دار بينه وبين الجان من مناقشات ؟ هذا ما سنعرفه في الحلقة القادمة ، فإلى اللقاء .

شارع فردان - بناية الصباح وصفي الدين تجاه سيار الدرك - الطابق الثالث
ص . ب ٦٣٤٧ - ١١ - بيروت - هاتف ١٩٤ ٨١٠ - برقياً : دانفايسكو